الافتتاحيّة

العهدُ والسلامُ بالربِّ يَسوع

أ. أيوب شهوان

لا عهد ولا سلام إلا بالمسيح يسوع

قبل ألفي سنة أنشد الملائكة :

«المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة» (لو ٢:١٤).

ومنذ ذاك الزمان و«الناس ذوو الإرادة الحسنة» يرددون هذا النشيد الذي يجمع «الساكن في الأعالي» (مز ٩١:١) مع أهل الدنيا في فرحةٍ ما مثلها فرحة، وسلام ما مثله سلام.

فمحبة الله التي تشمل جميع الناس، تملأهم رجاءً، هو رجاء زمن جديد، زمن سلام، سبق وبشر به رجال الله الأنبياء القديسون. هذه المحبة التي تجلّت في الكلمة المتجسد يسوع المسيح، هي الركيزة الأساسية للسلام. فعندما يحل السلام في الكون، يعود كل آدم وكل حواء إلى جنة الله، وينعم الجميع بالعلاقة المتبادلة بين الله وبينهم.

هكذا، يعادل حلولُ السلام تجسيدَ العهد بين الله وبين بني البشر؛ فالاثنان عطية من الله، والاثنان هما لأجل الإنسان، والاثنان ينقضهما ويقضي عليهما ليس الله، بل الإنسان الأحمق الذي يقول في قلبه: «لا إله» (مز ١٤:١).

ينهار السلام، فيلحق به العهد؛ يقوم العهد، فيعم السلام. الأساس والضمانة للاثنين هو يسوع الذي قدسنا بدمه، «دم العهد» (مت ٢٦:٢٨؛ مر ١٤:٢٤؛ لو ٢٢:٢٠؛ ١ كو ١١:٢٥)، وردّ لنا السلام، «هو سلامنا» (أف ٢:١٤)، وهو عطية سلام لجميع البشر. لقد جاء ليجمع ما كان مفرّقاً ومتخاصماً ومتباعداً، وليجعل من «البعداء أقرباء» (أف ٢:١٢-١٤)، ومن «الغرباء عن عهود الوعد» (أف ٢:١٢) «أبناءَ العهد» من جديد.

لن يجني الناس ثمار العهد والسلام «ما لم يعودوا ويَصيروا كالأطفال» (مت ١١:٢٥؛ لو ١٠:٢١؛ ١٨:١٥)، و«يولدوا من جديد» (يو ٣:٣ي). وحدهم الذين «من الماء والروح وُلدوا» (يو ٣:٣ي) قادرون أن يكونوا «أبناء الله» (مت ٥:٤٥، الخ)، «أبناء العهد»، و«صانعي سلام» (مت ٥:٩) و«مبشرين به» (روم ١٠:١٥).

بين العهد والسلام والقداسة ارتباط حميم ووثيق: فالسلامُ عنصرٌ مكوِّنٌ للعهدِ، والعهد يُنبِتُ السلام، والاثنان يُبنَيان بعون الرب، يوماً بعد يوم، وبفعل روحه القدوس، عبر التقوى والمحبة والحكمة والعدالة التي علمنا إياها الرب يسوع وحقّقها بثمن عظيم.

رجال العهد بُناةُ سلام

مَن كان من «بني العهد»، كان بذات الفعل صانعَ سلام، وبانيَ وئام، عدوّاً للباطل، وحافظاً ذاته من أي خصام، ولا عجب في ذلك: فإنه رجل الأمانة للعهد وسيدِ العهد في قوله وفعله، ينعم بإقامة رب السلام ومعطي السلام في قلبه وداره، والذي تطفح أهراؤه بالخيرات المعطاة من سيد العطايا، الذي، إن كان من حدٍّ لجوده، فهو محبة خاصته، محبتهم حتى الغاية، حتى بذل ذاته عنهم.

تعادل عبارة «رجال العهد» إذاً عبارة «رجال السلام»، وتكمل الواحدة الأخرى. هؤلاء الرجال هم القديسون والأصفياء، الذين استناروا بمن هو النور، فأشعوا في العالم سلاماً وعلاقات أخوة، هي قبس من العهد الإلهي الإنساني الحياتي.

عهدُ سلام راسخ وأبدي

«وأَبتُّ معهم عهدَ سلام، فيكون عهداً أبديا» (حز ٣٧:٢٦؛ رج ٣٤:٢٥[1]).

في الواقع، هو الرّبُّ مَن سبق وأعلن على لسان الأنبياء «عهد سلام» («بريت شَلُوم»)، «عهداً أبديا» («بريت عُلَم»).

تعكس عبارةُ «عهد أبدي» لاهوتَ الكاتب الكهنوتي انطلاقاً من تك ٩:١٦ و١٧:٧، حيث يُقيمُ اللهُ عهدَين غير مشروطَين مع نوح ثم مع إبراهيم.

وتعكس عبارةُ «عهد سلام»، في حز ٣٤:٢٥، الزمانَ الذي فيه الخروف الضال قد أُعيد إلى الأرض التي غُرِّبَ عنها، وسلالة داود استرجعت مكانها ومكانتها، وعد الله بأن يقيم عهداً جديداً مع إسرائيل (رج إر ٣١:٣١-٣٤). سيكون هذا العهد عهدَ سلام، سيبني علاقات مميزة ومتآلفة في البلاد. سيعرف إسرائيل اللهَ من جديد، وسيقيم بأمان في موطنه. في الواقع، يعكس مجملُ نصّ حز ٣٤:٢٥-٣١ رؤيةَ عهدِ ازدهار، يتكلم عليه لا ٢٦:٣-١٢، وإر ٣٣:١٤ي. ستكون كلُّ بركات إسرائيل ثمرة طاعةٍ مؤمنةٍ للعهد، وبالتالي سينعم شعب الله بالسلام.

بهذا المعنى يقول أشعيا، نبي العهد والسلام:

«فالجبال يمكنها أن تتباعد، والتلال أن تتأرجح،

لكن محبتي لا تتباعد عنك، وعهدي السلامي لا يتأرجح،

يقول الربُّ الذي يعزّيك» (أش ٥٤:١٠).

إن «عهد السلام» هذا (عد ٢٦:١٢؛ حز ٣٤:٢٥؛ ٣٧:٢٦؛ ملا ٢:٥) سيوحّد بالتأكيد الكونَ بأسره في انسجام وتناغم وسعادة (أش ٤٤:٢٨)، استناداً إلى «الملء» الذي تعنيه كلمةُ «شَلُوم» وتوحي به.

السلامُ إذاً هو ثمرةُ العهد

استناداً الى ما تقدم، «السلام» هو وحدة مكثّفة جدّاً من الناحية اللاّهوتيّة، ليس فقط لأنّه عطيّة من الرب، بل لأنّه مرتبط بالحب، وبالرحمة، وبنوع خاص بأمانة اللّه لوعده وعهوده، والتي لا تتزعزع.

يمثّل السلام إذاً انتصار العلاقات الشخصيّة المتبادلة، التعبير العملي عن العهد، إن بالمعنى الديني – «أكون لهم إلهاً ويكونون لي شعبا» (حز ٣٧:٢٧)، وإن بالمعنى البشري – «يسكنون في الصحراء بأمان» (حز ٣٤:٢٥).

في إطار العهد هذا، تظهر، في الحقيقة، المقوّماتُ الروحيّة والخلقيّة للسلام[2]، التي، إن قام العقلاء والأمناء بموجباتها وبمتطلّباتها، كانوا أهلاً لـ«طوبى» التي أغدقها الرب يسوع على «فاعلي السلام، فإنهم أبناء الله يدعون».

١- أنظر أيضاً ١٦:٦٠، حيث، بالرغم من أنّ كلّ ما قيل في ١٦:٣-٥٢ يوحي بأن لا شيء يسمح لإسرائيل بأن يترجى رحمة الله، فإنّ الله يَعِدُ بإعادةِ بنيانٍ مبنيٍّ على العهد الذي أعطاه عند الخروج؛ وإذا كان إسرائيل قد نسي، فإنّ الله لم ينسَ. أنظر أيضاً لا ٢٦:٤٢-٤٤.

٢- Penna R., "L'évangile de la paix", in Lorenzo De Lorenzo (par le soin de), *Paul de Tarse apôtre de notre temps* (Abbaye de S. Paul h.l.m.: Rome 1979) 197ss.